الأمن الاجتماعي في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
عهد مالك الأشتر أنموذجا

أعداد

أ.م.د قاسم عبد سعدون الحسيني

جامعة ميسان / كلية التربية قسم التاريخ

المقدمة

عكفَ هذا البحث الوجيز لتسليط الضوء على عملية بناء المجتمع وتحقيق الأمن المجتمعي ، والتي تُعد من الأمور الرئيسة والمهمة التي أكدت عليها جميع الأديان والصحف السماوية ، لا بل حتى القوانين الوضعية لما لهذا الأمر من دورٌ كبير في بناء المجتمعات الصحيحة ، إذ لا يمكن أنَّ تُبنى المجتمعات إلا من خلال منظومة سياسية صالحة قائمة على اعتبار الإنسان قيمة عُليا وجبَ الاهتمام بهِ ، لأنَّ ذلك سيؤدي إلى شعور الفرد بالاستقرار والأمان ، ويمنحهُ الطمأنينة ويحفظ كرامتهِ في المجتمع ، وبما أنَّ الإسلام خاتم الأديان السماوية وأفضلها بتصريح القرآن الكريم ﴿ أنَّ الدين عند الله الإسلام ﴾[1]، لذا فقد احتوت المنظومة القيمية للدين الإسلامي مجموعة من الأسس والأُطر الفكرية التي تساعد على بناء الفرد وبناء المجتمع . وقد شكل الأمن الاجتماعي مرتكزاً مهماً في بناء المجتمع وأعتُبر ضرورة مُلحة لا يمكن التخلي عنها إذا ما أُريد بناء مجتمع آمن يرفل بالعيش الرغيد ، فإذا ما شعر الفرد بعدم الأمان والطمأنينة ينعكس ذلك سلباً على أداء الفرد ، فالأمن حاجة نفسية مُلحة ينشدها الفرد منذ بداية حياتهِ ، ومن هنا أدرك النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم هذا الأمر وأولاه أهمية كبرى واعتبر الأمن دعامة مهمة لبناء المجتمع الأمر الذي سار على خطاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام حينما آلت الخلافة له فعمل جاهداً على أنّ لا يحيد ولا يخرج عن نهج النبي وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف لبناء مجتمع سليم ناجح معتمداً في تحقيق ذلك على قراءته الواقعية للمجتمع الإنساني ساعياً لتحقيق الأمن وحفظ كرامة الإنسان مهما كان دينهِ وشريعتهِ ، مؤمناً بأنَّ الإنسان يتأثر بالعديد من العوامل المحيطة بهِ خلال مسيرة حياتهِ ، لذا فقد كتب عهداً يُعد هو الأطول في التاريخ عُرف بعهد أمير المؤمنين عليهِ السلام لواليهِ مالك الأشتر رضوان الله تعالى عليهِ يوصيهِ باحترام الرعية والرأفة بهم والعمل

[1] آل عمران ، الآية ١٩ .

بمبادئ الشريعة الإسلامية والالتزام بها ، لأن في ذلك ضماناً واضحاً يتحقق من خلالهِ الأمن الاجتماعي وتنعم الرعية بالعيش الرغيد .

الأمن الاجتماعي

ماهيتهُ وبداياته الإسلامية الأولى .

قبل الخوض في موضوع الأمن الاجتماعي لابد لنا أنَّ نعرف ماذا يقصد بهذا المصطلح ، ليتسنى لنا تحديد آلياته ومبادئهِ وفق رؤية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام وما أوصى بهِ الوالي مالك الاشتر رضوان الله تعالى عليهِ[٢] .

يهدف الأمن الاجتماعي إلى تحقيق سلامة المجتمع وإحساس أفرادهِ بالطمأنينة حتى يتمكنوا من أداء وظائفهِ بأفضل حالة في ظل العادات والتقاليد التي وضعها المجتمع ، ونتيجة للتغيرات والتهديدات التي تتعرض لها البشرية ، تعددت مفاهيم الأمن الاجتماعي واختلفت وجهات نظر الباحثين والمهتمين في هذا المجال ، ولعلَّ هذا الاختلاف أمر طبيعي فرضهُ اختلاف فكرهم في تعريف كلمتي الأمن والاجتماع ، ولكي نصل إلى تعريف شامل لمفهوم الأمن الاجتماعي ، لابد لنا أن نتعرف على كلمتي الأمن والاجتماع لتتضح لنا ماهية مصطلح الأمن الاجتماعي بصورة دقيقة .

١- مفهوم الأمن .

أ -الأمن لغة .

أكدت قواميس اللغة أن الأمن ضد الخوف والفعل منهُ أمنَّ يأمنّ أمناً ، والأمنة من الأمن والأمانة عكس الخيانة فيقال أمنَّ فلان يأمن أمناً [٣].

ب- الأمن اصطلاحاً .

وضع الباحثين والمهتمين في المجال الأمني تعاريف عدة لمفهوم الأمن أبرزها .

---

[٢] مالك الاشتر : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي ، المعروف بالأشتر زعيم من زعماء العرب وفرسانهم ومن كبار الشجعان ، وكان رئيس قومه عاصر الجاهلية والإسلام وسكن الكوفة وكان له نسل فيها ، وشهد معركة اليرموك ، وفقد عينه فيها ، وكذلك شهد الجمل وأيام صفين الحالكة مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، ويعد من الشجعان الأجواد الفصحاء ، وكان من رؤساء الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام ، وأعتمد عليهِ الإمام وأدخره للمهمات . ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ٤٧٦/٥ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٢٥٩/٥ .

[٣] الفراهيدي ، العين ، ٣٨٨/٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢١ .

الأمن هو حالة من الشعور بالاطمئنان والسلام تسود المجتمع فتجعل كل فرد فيهِ لا يخاف على شيء من ضروريات حياتهِ[٤] .

في حين ذكر الجحني[٥] الأمن هو مجوعة من الإجراءات الوقائية والتربوية تتخذها أجهزة الدولة لتحقق من خلالها الأمن الداخلي والخارجي انطلاقاً من مبادئ إسلامية لا تتعارض مع مصالح الرعية .

أما اليساري[٦] فقد ذكر الأمن على أنه رعاية الفرد والمجتمع رعاية يتحقق من خلالها الطمأنينة لدى الفرد ووقايته من الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي باستخدام وسائل وقائية وعلاجية.

٢- مفهوم الاجتماعي .

تعود كلمة الاجتماعي إلى علم الاجتماع وهو وصف للسلوك نحو الآخرين ، أو المواقف التي لها تأثير متبادل بين فرقاء تربطهم علاقات وروابط ويطلق عليهِ علم العمران لأنَّهُ يهتم بالعمران البشري والاجتماعي والإنساني[٧] .

وتبعاً لذلك يمكن القول بأنَّ الأمن الاجتماعي هو سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحدى وجودهم متمثلة بالأخطار العسكرية وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب والسرقة ، وقد ربط علماء الاجتماع بين غياب الجريمة وتراجع معدلاتها ما هو إلا تعبير عن حالة الأمن الاجتماعي ، وأنَّ تفشي الجريمة وانتشارها يعني غياب الأمن أو انعدامهِ[٨] ، ومن هنا ندرك حقيقة مفادها أن معيار الأمن الاجتماعي أمر منوط بقدرة المؤسسات الحكومية في الحد من الجريمة والتصدي لها .

كذلك يعُرف الأمن الاجتماعي على أنَّهُ سيادة حالة من العلاقات التي تقوم على شعور الفرد بالأمن والطمأنينة نتيجة وجود شبكة من التشريعات والأنظمة التي عن طريقها يضمن الفرد حقوقه بكونهِ إنساناً بغض النظر عن انتماءاتهِ الفرعية الأخرى[٩] .

---

[٤] نور ، الأمن الفكري ، الطيبي ، ص٢٧ ؛ الأمن الاجتماعي ، ص٤ .

[٥] المنظور الإسلامي للأمن ، ص٢٢ .

[٦] الأمن الداخلي ، ص٢٢ .

[٧] الطيبي ، الأمن الاجتماعي ، ص٧ .

[٨] عبد الرزاق ، الأمن الاجتماعي ، ص١٣-١٤ .

[٩] عبد الرزاق ، الأمن الاجتماعي ، ص١٧ .

أما عمارة[١٠] فقد عرف الأمن الاجتماعي على أنَّهُ الطمأنينة التي تنفي الخوف من الإنسان فرداً أو جماعة في كافة ميادين الحياة ، وهو أن يحيا الإنسان حياة اجتماعية آمنة مطمئنة على نفسهِ ومالهِ ومكانهِ الذي يسكن فيهِ .

أخذت مسألة الأمن الاجتماعي حيزاً كبيراً من فكر النبي مُحَمَّد ﷺ وأهل بيتهِ عليهم السلام ، فمنذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية كان النبي يوصي أصحابه بأن يعملوا على نشر تعاليم الدين الإسلامي بسرية تامة ، واللجوء إلى مبدأ التقية حفاظاً على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وقد واجه صحابة الرسول ألواناً مختلفة من التخويف والعدوان في البدايات الأولى للدعوة الإسلامية الأمر الذي حفِلت بهِ الروايات التاريخية[١١] .

تعرض النبي الأكرم لعدوان وتخويف وإرهاب من أشخاص عدة ، إذ حاول عدو الله أبو جهل[١٢]، أن ينال من النبي الأكرم لكن الله قد أخزاه ولم يمكنهُ من ذلك ، كما أخزى عتبه بن أبي ، الذي أقدم على شق قميص النبي وتجاوز عليهِ ، فدعا عليهِ النبي بأن يسلط الله عليهِ كلباً فأكله السبع وهو في طريقه إلى الشام[١٤]. كذلك تعرض أصحاب النبي لأنواع العذاب المختلفة وإرهاب أعداء الدعوة الإسلامية ، وممن تعرض للأذى والعدوان : عبد الله بن مسعود[١٥] ، مصعب بن عمير[١٦] ،عثمان بن

[١٠] الإسلام والأمن الاجتماعي ، ص١٢ .

[١١] الزبيدي ، أمن المجتمع ، ص٦٦-٦٧ .

[١٢] أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كناه النبي الأكرم (ص) أبا جهل ، لأنهُ كان يُكنى قبل ذلك أبا الحكم ، كان اشد الناس عداوة لرسول الله إذ أمعن في إيذائهِ والتحريض عليهِ ، قُتل يوم بدر وهو ابن سبعين سنة . ينظر :البلاذري ، انساب الأشراف ،١٢٥/١ ومابعدها .

[١٣] عتبه بن أبي لهب وأسم أبي لهب عبد العزيز بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، أسلم هو واخوه معتب يوم الفتح ، وكان قد هربا فبعث العباس فيهما فأتى بهما فأسلما ، فسرَّ رسول الله (ص) بإسلامهما ودعا لهما وشهد معه حنيناً والطائف ولم يخرجا عن مكة ولم ياتيا المدينة . ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٠٣٠/٣ .

[١٤] المقريزي ، أمتاع الاسماع ، ١٢ /١١٩ .

[١٥] عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن بن الهذلي حليف بني زهرة وكان ابوه مسعود بن غافل قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث بن زهرة ، كان إسلامه قديماً في أول الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وأحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، توفي في المدينة ودفن في البقيع سنة ٣٢هـ، وعلى رواية ٣٣هـ وله من العمر سبعين سنة أو نحوها . ينظر : ابن يعد ، الطبقات الكبرى ، ١٥٠/٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٩٨٧/٣ .

مضعون[١٧] وآل ياسر الذين يضرب المثل بهم فيما لقيه أوائل المسلمين من الناس إرهاباً وتخويفاً من أهل الكفر والشرك بالله[١٨] .

شعر الناس بفقدان الأمن في زمن لم تكن سلطة للمسلمين ، ولا ولاية لهم إذ كان أمر المجتمع بيد مجموعة من المجرمين أسرفوا في إيذاء الناس ، لا سيما المسلمين الأوائل الأمر الذي دفع البعض للهجرة إلى بلاد الحبشة لأن فيها ملك عادل لا يظلم عنده احد ، وهكذا ظل الأمن في بلاد المسلمين الأوائل بيد أهل الشرك والكفر حتى إذن الله بقيام دولة الإسلام على يد النبي الأكرم مُحَّد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، لينعم المجتمع الإنساني بالأمن والأمان في ظل تعاليم الدين الإسلامي ، إذ كان الأمن بمفهومه الشامل هو أول أهداف الحكومة الإسلامية منذ قيامها على يد النبي الأكرم ، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار ليسود الوئام في المجتمع الإسلامي[١٩]، ومن الجدير بالذكر لم يقتصر الأمن على المسلمين بل أنَّ غير المسلمين كان لهم نصيبهم من الأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، وتم لهم ذلك عن طريق إقرار صحيفة المدينة والتي كانت أول وثيقة تنظم أمور المجتمع المسلم مع إقرار العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب[٢٠] .

ولعلَّ البواكير الأولى لأمن المجتمع تحققت في ظل قيام الدولة الإسلامية على يد النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، حيث آمن الناس على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، وكان ذلك الأمن متاحاً لغيرهم من أهل الكتاب على دينهم ودنياهم ما داموا مسالمين ، وكانت أنفسهم وأعراضهم وأموالهم مصونة طالما هم بذمة الإسلام ، ولعلَّ ذلك مؤشراً واضحاً على انفتاح الدين الإسلامي نحو الديانات

---

[١٦] مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الله بن قصي القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله ، كان من جلة الصحابة هاجر إلى ارض الحبشة في أول من هاجر إليها ، ثم شهد بدراً ، ولم يشهد بدراً من بنو عبد الدار إلا رجلين مصعب بن عمير وسويط بن حرملة ويقال ابن حريملة ، ، وكان رسول الله (ص) بعث مصعب بن عمير إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ، وكان يدعى القارئ والمقرئ ويقال أنهُ أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة أستشهد يوم أحد ولهُ من العمر أربعين سنة . ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٤٧٣/٤ .

[١٧] عثمان بن مضعون :

[١٨] البعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ١٧٠/٢ ؛ الزبيدي ، أمن المجتمع ، ص٦٨ .

[١٩] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٦/٣ .

[٢٠] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٤/٣ ؛ الزبيدي ، امن المجتمع ، ص٦٨-٦٩ .

الأخرى ، وقدرتهِ على تقبل الآخرين من أبناء هذهِ الديانات ، شريطة إلا يقوموا بإخلال الأمن الاجتماعي والتهديد السياسي للحكم الإسلامي .

حينما فتح النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآله وسلم مكة سنة ٨هـ، كان حريصاً على تحقيق الأمن الاجتماعي ، وعدم تخويف الناس لذلك قال : ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليهِ داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن)) ، ولعلَّ ذلك مؤشراً واضحاً على حرص النبي الأكرم على تحقيق الأمن الاجتماعي ، فأمانه كان أماناً شاملاً لمن لم يقاتل ، أو لزم داره ، أو دخل دار أبي سفيان ، أو من دخل المسجد الحرام الذي جعله الله أماناً للناس ، وحينما تحقق النصر وفتحت مكة قال الرسول لأعدائه : ((أذهبوا فأنتم الطلقاء))[٢١]، ثم اخذ النبي الأكرم يذكر المسلمين ، ويشدد عليهم بالمحافظة على حرمة الناس ، مُحرماً إرهابهم وتخويفهم وقتلهم أو سبيهم ، مع التأكيد على المحافظة على أموال الناس وحفظ حقوقهم ، لذلك تحقق الأمن للجميع وأصبح المجتمع في عهد النبي ينعم بالأمن والأمان سواء كان في دولة الإسلام في المدينة أم في مكة .

الأمن الاجتماعي في فكر الإمام علي عليه السلام

عهد مالك الأشتر أنموذجاً

يُعد عهد الإمام علي عليهِ السلام لمالك الأشتر من أهم الوثائق السياسية ، والدستورية الفاعلة لإدارة الدولة وقيادة المجتمع لأنَّ فيهِ معالجة إسلامية للأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي ، لا بل يشمل كل أنواع الأمن التي أكدها الدين الإسلامي فهو أطول عهد كتبهُ الإمام عليهِ السلام ، ولم يكن لأحد من الخلفاء والحكام كتباً يجاريه ، وهذا أنّ دل على شيء فإنما يدل على سعة علم الإمام وشمول نضرتهِ ، وعمق تجربتهِ وثراء فكره وثقافته وخبرته في الحياة الفردية والاجتماعية[٢٢] ، والمتمعن في هذا العهد يجد فيهِ دلالات ومضامين فلسفية شاملة للحياة والإنسان والتاريخ ، ويضم في

[٢١] الشيرازي ، السياسة من واقع الإسلام ، ص٣٢ .

[٢٢] الشامي ، البرنامج الأمثل ، ص١٤٢ .

طياته العديد من الأفكار والمبادئ والقيم الإنسانية والمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية ، ويمكننا أنَّ نلخص أبرز مضامين هذا العهد بالنقاط الآتية[٢٣]:-

١- اتصف هذا العهد بالنظرة الشمولية ، إذ لم ينفرد العهد بالتخصص بجانب معين وأهمل الجوانب الأخرى ، بل أحاط جميع تفاصيل حياة الإنسان سواء كانوا أفراداً أو جماعات .

٢- عالج هذا العهد مسألة لطالما عانى منها الإنسان منذُ القدم ، إلا وهي مسألة الظلم والاستبداد والاستغلال التي مارستها الطبقة السياسية الظالمة ضد الشعوب المستضعفة ، مركزاً على ضرورة تطبيق العدالة والأنصاف وصولاً للارتقاء بكرامة الإنسان .

٣- بروز الجانب الأخلاقي والقيمي للعهد الشريف ، بحيث أصبح كل جانب من جوانبهِ ، لا بل كل فقرة من فقراته تشع بعداً أخلاقياً يمكن من خلاله بناء مجتمع ينعم بالأمن والأمان .

٤- أهتم العهد الشريف بشخصية وكيان الحاكم والمسؤول المتصدي للشأن العام والتأكيد على إعدادها روحياً وأخلاقياً قبل التصدي وبعده ، بحيث تتمتع على الدوام بالوعي والحضور والكرم والشجاعة والكفاءة والتقوى .

٥- تميز العهد الشريف بعدم الانحياز للطبقة الخاصة وهي النخبة التي تعمل مع الحاكم وتحيط به على حساب العامة .

٦- أكد العهد على إتباع سياسة الوئام والمحبة بين الحاكم وشعبه ، وبين المسؤول وأمته والعاملين معه ، بعيداً عن التكبر والتعالي أو الغرور .

٧- أكد العهد الشريف على الاهتمام بالجند ورعايتهم وإعداد القوة العسكرية والمنية في البلاد الأمر الذي سينعكس إيجاباً على حفظ النظام السياسي وحماية الناس وحفظ الأمن الاجتماعي .

٨- أكد العهد الشريف على الاهتمام بطبقة التجار ودعمهم وتقديم العون لهم ، لما لهذهِ الفئة من دور كبير في إنعاش اقتصاد البلد ، وتحقيق استقراره وحفظ نظامه السياسي والمجتمعي .

٩- أعتبر العهد الشريف أنَّ الإنسان قيمة حضارية كبرى لا تعادلها قيمة ، فلا يجوز المساس بدمه وعرضهِ وماله ، وأنَّ سفك دم المسلم أو غيره من دون وجه حق يُعد من أكبر الجرائم التي يهتز لها عرش الله ، ويحاسب عليها الشرع والقانون .

[٢٣] الشامي ، البرنامج الأمثل ، ص١٤٢-١٥٠ .

١٠- أوصى الإمام علي عليه السلام ، مالك الاشتر بإتباع أسلوب متوازن في استخدام الشدة واللين وبين الحسم والمرونة ، وهي قضية جوهرية وأساسية في إدارة الدولة فهناك مواقف تتطلب أنّ يكون الحاكم حازماً صارماً وشديداً لا يتراجع عن قراراتهِ ولا يتردد في مواقفه ، وهناك أمور تتطلب من القائد استخدام اللين والمرونة في معالجة المواقف مادامت لا تؤثر على مسيرة الدولة ولا تؤدي إلى الأضرار بالمصلحة العامة .

١١- أعتبر العهد الشريف الزراعة مرتكزاً مهماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية محملاً الحاكم مسؤولية استغلال الأراضي الزراعية لما لها من فائدة كبيرة في تحقيق الأمن الاقتصادي وصولاً للأمن الاجتماعي للبلد .

١٢- أولى العهد الشريف الطبقة الفقيرة والمحرومة أهمية كبرى ، حيث أوصى الإمام بالفقراء وضرورة الاهتمام بهم ، وهذا أنّ دل على شيء فإنما يدل على اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان وعزته .

١٣- شدد العهد الشريف على الاهتمام بالمؤسسة العسكرية وأوصى بالجنود فهم حماة الدولة والمجتمع ، لأن بهم تصان الثغور وتحفظ الأعراض ويتحقق الأمن الاجتماعي لذا خصهم الإمام قائلاً :((فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسُبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم)) . وهنا أكد الإمام عليه السلام أن الجنُد لايصلحون إلا بصلاح من يتولى عليهم ، تقديراً منه للمهمة الخطيرة التي يتولاها قائد الجند[٢٤] . والمتمعن في هذهِ الوصايا يجد أنَّ الإمام عليهِ السلام يؤكد على الحالة الأمنية للمجتمع مشدداً على حماية البلاد وتوفير سُبل الأمن للعباد من عصابات الشر ، وأنَّ قوى الجيش والعسكر والشرطة مظهر من مظاهر القوة والعزة ، وأنَّ الدولة من دون قوات عسكرية لا يحسب لها حساب ولا يهابها الأشرار .

قسمَ الإمام وصيتهِ لمالك الأشتر ، المجتمع إلى طبقات حسب المهنة والعمل الذي يزاوله الفرد ، كالجندي والفلاح والقاضي والتاجر ، والملاحظ أن هذا التصنيف يعتمد على المهنة والعمل لا على أساس عنصري أو قومي ، لذا فهو يتكفل في بناء مجتمع تتبادل فيهِ المصالح والمنافع تحقيقاً للأمن المجتمعي ، فالجندي يقدم الأمن للمجتمع كما يقدم الفلاح محصوله وإنتاجه للناس ، وهكذا كل طبقة من هذهِ الطبقات تقدم خدماتها للمجتمع لتكون عنصراً فاعلاً في استمرارهِ ، ويتجسد ذلك بقول الإمام

[٢٤] العمري ، الخطاب في نهج البلاغة ، ص١٨٠ .

عليهِ السلام : ((وأعلم أنَّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعضٍ ، ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال لأنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة))[٢٥] ، ويرى مُحَمَّد مهدي شمس الدين[٢٦] أنَّ الإمام علي عليهِ السلام هو أول من عبر عن مفهوم الطبقات الاجتماعية وتصنيفاتهِ وبما له من مضمون اجتماعي وسياسي في الفكر الإسلامي ، إذ لم يوجد تعبير عنه قبل إنشاء الإمام للعهد المذكور الذي كان دستور حكومة مالك الاشتر في مصر . أي أنَّ الإمام كان عالماً بمعرفة المجتمع ومكوناتهِ ومسؤولياتهِ وما يصلحه فحينما صنف الإمام المجتمع على أساس طبقي فأن ذلك يحتاج إلى التآزر والتلاحم بين هذهِ الطبقات خدمة لأبناء المجتمع لأن صلاحهم بقوتهم وتعاونهم وتآزرهم وهلاكهم يقوم على تصارعهم ، وأنَّ نجاح أي صنف من هذهِ الأصناف لا يمكن أنَّ يتحقق إلا بالتعاون مع بعضهم البعض ، وتبادل الأدوار مع الأصناف الأخرى حيث لا غنى لصنفٍ عن الأصناف الأخرى فأن مصالحهم متداخلة ومتوقفة على المصالح الأخرى لتلك الطبقات ، فالجندي مسئوليتهُ حفظ الأمن ، والفلاح مسئوليته توفير مستلزمات معيشة الجند من خلال ما يقوم بهِ الفلاح والتاجر من أعمالٍ تستوجب الخراج والضرائب التي تمد الدولة بالأموال فتقوم الدولة بإعطاء الرواتب لهذهِ الشريحة الأمر الذي يتطلب توفر جهاز إداري من القضاة والكتبة لتسيير أمور الدولة والإشراف على هذهِ النشاطات ، وحل النزاعات عن طريق القانون ولولاهم لغاب القانون ، وانعدم الأمن وحلت الجريمة كذلك شدد الإمام على اختيار الجند والقادة ووضع منهجاً دقيقاً في الاختيار الناجح ، فأول الصفات والمزايا يجب أنَّ تتوفر بالجند والقادة هو التدين والخوف من الله ، والأمانة والمحافظة على حقوق الآخرين ومساعداً لهم ولا سيما الضعفاء والفقراء الأمر الذي أكد عليهِ الله سبحانه وتعالى وجسده بالقول : ﴿ أن الله يأمركم أنَّ تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أنَّ تحكموا بالعدل ﴾[٢٧]، ولعلَّ النظام الإداري الذي يطمح إليهِ الإسلام هو النظام القائم على الأمانة ، والذي يمكن عن طريقه أنَّ يكون الحاكم أميناً على مصالح الأمة وممتلكاتها ، وأمينا على

[٢٥] المولى ، الخلق الكامل ، ٣/٧٣ .

[٢٦] دراسات في نهج البلاغة ، ص٩٩ .

[٢٧] سورة النساء ، آية ٥٨ .

قيمها ومثلها ، لأنَّ ذلك حتماً سيؤدي إلى تحقيق الأمن للرعية بحيث تشعر الرعية بالأمن والآمان في ظل حكم الحاكم المسلم .

كذلك شدد أمير المؤمنين عليهِ السلام على أن يكون الحاكم من البيوتات الصالحة وممن يتصفون بالسيرة الحسِنة والتاريخ المشرف ، وان يتحلى بالشجاعة والسخاء والسماحة ، إذ أنَّ هذهِ الصفات لها دور كبير في إشاعة العدل والإنصاف والمحبة والألفة بين الناس الأمر الذي يؤدي لحفظ الأمن وتحقيقهِ[٢٨] . ولعلَّ الإمام عليهِ السلام أراد أنَّ يوصل رسالة مفادها أنَّ التخصص والكفاءة والنزاهة معايير لا بد من احترامها واعتمادها في تولية الوظائف ، لأن زمن العموميات قد ولى ، وإتباع منهج سد الفراغ بأيٍّ كان منهج لا تقوم به الأمم ، بل بسببهِ تتهاوى الأمم وتنتهي[٢٩] .

كذلك وضع الإمام عليهِ السلام مجموعة من الوصايا التي لا بد للحاكم أنَّ يقوم بها اتجاه الجند ومنها أنَّ يقوم الحاكم أو المسئول بتفقد حوائج الجند ومعرفة ضرورياتهم كل ما تحتاجهُ هذهِ الطبقة ، وعليهِ أنِّ يشعرهم بالمحبة والرعاية حتى يبادلوه الثقة والمحبة والتضحية في سبيل حفظ أمن الدولة . وقد جسد ذلك الإمام بالقول : ((ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما))[٣٠] ، وعليك أنَّ تقدم الشكر والثناء إلى طبقة الجند ، وإبراز محاسنهم وشجاعتهم ونجدتهم ، ذلك لإثارة العزيمة ورفع معنوياتهم للاندفاع والتسامي نحو النجدة والشجاعة والبسالة تشجيعاً لهم ولرفع معنويات الضعيف فيهم دون لومهِ ، وإظهار عيوبهِ ويتجسد ذلك بقولهِ : ((وواصل في جسد الثناء عليهم ، وتمديد ما ابلئ ذوو البلاء منهم فأن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل أنَّ شاء الله))[٣١] .

كذلك حرص الإمام عليهِ السلام على أنَّ يقوم الحاكم أو المسئول بالاهتمام بعوائل الجُند والسهر على راحتهم ، وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية لهذهِ العوائل ، لكي يشعروا بالاطمئنان على مستقبلهم ومستقبل عوائلهم ، ويقوموا بأداء واجباتهم على أتم ما يكون تحقيقاً للأمن المجتمعي .

[٢٨] المولى ، الخُلق الكامل ، ٧٣/٣ .

[٢٩] الجزائري ، إعداد الكفاءات ، ص٢١٧ .

[٣٠] نهج البلاغة ، ٥١/١٧ .

[٣١] نهج البلاغة ، ٥٢/١٧ .

ولأجل تحقيق مجتمع آمن يرفل بالأمن والعز والازدهار ، لابد من وجود قضاء عادل ونزيه يمكن من خلالهِ تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع وصولاً للأمن المجتمعي السليم[٣٢] ،إذ على القاضي والحاكم تقع مسئولية كبيرة ومهمة في إقامة العدل والأنصاف بين الناس[٣٣] ، ومتى شعرت الرعية بأن حقوقها محفوظة وكرامتها مصونة عن طريق القضاء سعى الجميع لتحقيق الرفاهية داخل المجتمع وعملوا على تطبيق النظام وتحقيق الأمن .

عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمالك الأشتر

مظهر من مظاهر الأمن الاجتماعي

لأجل تحقيق الأمن الاجتماعي شدد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام على تطبيق المبادئ الواردة في العهد الشريف ولاسيما تلك التي يمكن من خلالها أن تتحقق الأسس الخاصة بالعدل والأمن الاجتماعي والتي منها :-

١- مبدأ العدالة الاجتماعية وعدم التكبر على الرعية .

حضيَّ مبدأ العدالة باهتمام كبير من قبل أمير المؤمنين عليهِ السلام فصفة العدالة تسري في كل فعل من أفعالهِ ، ولم يفارقهُ العدل لحظة من لحظات حياتهِ الكريمة[٣٤] ، ويتجلى ذلك واضحاً من خلال تجاربهِ الفذة والرائعة والمتفردة على طول التاريخ في الحكم والإدارة في عصرهِ ، وقد تجسدت هذهِ التجربة الرائعة في الحكم من خلال سيرتهِ عليهِ السلام وكلماتهِ وخطبهِ ووصاياه إلى الولاة والأمراء[٣٥]، ولاسيما عهدهُ لواليهِ على مصر مالك الأشتر ، إذ ركز العهد الشريف على تطبيق العدالة الاجتماعية بين الرعية ، وإتباع المساواة المطلقة بين الناس لغرض تثبيت أركان الأمن في البلاد حيث قال الأمام : ((إياك

[٣٢] حول صفات وشروط أختيار القاضي من وجهة نظر الإمام علي . ينظر : العبودي ، تأملات قانونية ، ص٢٧ ومابعدها .

[٣٣] السراجي ، خصائص الحاكم العادل ، ص١٤٩ .

[٣٤] الحلباوي ، العدالة السياسية ، ص٣٣٨ .

[٣٥] السراجي ، خصائص الحاكم العادل ، ص١٣٤ .

ومسامات (السمو) الله في عظمته والتشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار ويُهين كل مختال، ... أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيهِ هوى من رعيتك فأنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه))[٣٦].

المتمعن في مقولة الإمام سابقة الذكر يجد أنهُ قسم العدالة السياسية إلى قسمين :-

أ- العدالة الخلقية . هي تلك التي عبر عنها بقوله : ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك) ، ولعلهُ أراد أن يبين حقيقة مفادها أن الحاكم لا بد أن ينصف الله من نفسهِ ، ولتحقيق ذلك لا بد ان يتمتع الحاكم بالفضائل الفطرية التي تبين عدالتهِ إذ عن طريقها تتضح فضائل الحاكم جميعها ، وبالتالي متى ما تمتع الحاكم بهذهِ الخاصية فأنه سيحصل على نتيجتين هما : انتشار القيم الأخلاقية داخل الأجهزة الحكومية التابعة لإدارتهِ ، و اكتسابه مصداقية تطبيق القوانين التي تقود لتحقيق الأمن الاجتماعي للرعية[٣٧] .

ب- العدالة السياسية . تمثل العدالة السياسية الشق الثاني من قول الإمام سالف الذكر (أنصف الناس من نفسك) ، وتشمل هذهِ العدالة والمساواة بين الرعية من جهة ، ورفض استخدام التعسف والعنف في تطبيق الشريعة العادلة من جهة أخرى[٣٨] .

بين أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ وحدة المجتمع وتحقيق الأمن تستلزم أنَّ يعمل الحاكم الإسلامي على تطبيق مبدأ العدالة الإسلامية ، وأنَّ لا يفرق بين شخص وآخر فالناس سواسية في الحق ، والحاكم المتصدي لإدارة شؤون الناس عليهِ أنّ يراقب نفسه وموقع سلطته باستمرار ومن دون غفلة حتى لا يصاب بالغرور والغلو والتكبر حيث أنَّ التكبر هو عامل تشتت وتمزق في المجتمع ، والمجتمعات التي تنمو فيها مظاهر التكبر عرضة للانهيار أكثر من المجتمعات الأخرى، وعليهِ فأن التواضع وعدم التكبر هو السبيل لمنع حالات التداعي والانهيار في المجتمعات البشرية ، حيث أنَّ الإسلام حث على التواضع كخطوة للحفاظ على المجتمع[٣٩] ، كذلك على الحاكم أنَّ يتذكر عظمة الله وقدرته لعلَّهُ يخفف من

[٣٦] الحراني ، تحف العقول ، ص١٢٧-١٢٨ .

[٣٧] السيد علي ، الحقوق السياسية ، ص١٢٤ .

[٣٨] السيد علي ، الحقوق السياسية ، ص١٢٥ .

[٣٩] القزويني ، خصائص الإدارة ، ص٥٦ .

تكبره ويرجعه إلى صوابه ، لأن الله سبحانه وتعالى طالما أذل الطغاة والجبابرة وأهلك الفراعنة والمفسدين في الأرض بسبب سوء أعمالهم وظلمهم للناس[٤٠] . ويتجلى إنصاف الناس من خلال إعطاء كل ذي حق حقه بعيداً عن التمييز والتفرقة فيما بينهم مؤكداً على أنَّ يكون الأنصاف ليس من المسئول فقط بل من أهله وحاشيته والمقربين منه .

وقد سجل التاريخ مواقف عديدة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه كان عادلاً حتى مع أعداءه ، شديد الحرص على حفظ أرواحهم وهذا ما حصل في معركة صفين عندما منع العدو الماء عن جيش الإمام علي عليهِ السلام ، وحينما كان الماء تحت سيطرة جيشهِ وبعد أن دفعهم جيش الإمام عن الماء لم يمنعهم عليهِ السلام من الماء وقال أنّ الماء للجميع[٤١] . وهذا خير دليل على عدالته وتطبيقه لشرع الله سبحانه وتعالى . لذا فكل ما كان الحاكم عادلاً رحيماً شفيعاً على ضعاف الناس وأهل الحاجة قوياً في وجه الظلمة والمتجبرين ، كان قريباً إلى رعيتهِ مُخلصين ومؤيدين له في السراء والضراء بغية لتحقيق الأمن والرفاهية للمجتمع .

٢– مبدأ التغافل عن عيوب الرعية .

أكد أمير المؤمنين عليهِ السلام على ضرورة أن يقوم الحاكم العادل بالتغافل عن عيوب الناس وعدم الانشغال بها قائلاً : ((وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فأستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك)) ، ولعلَّ الإمام أراد القول أنَّ وظيفة الحاكم أنّ يستر على الناس ، وأنّ لا يتتبع عيوبهم والتشهير بهم فأنّ وصلهُ خبرٌ عن خطأ وقع فيهِ أحدهم يعمل على معالجة ذلك بغرض القضاء على آثارهِ السيئة لا الزيادة فيهِ أو نشرهِ بين الناس ، وما غاب عنه يدع الحكم فيهِ لله عز وجل .

في كل الحكومات يوجد هناك السُعاة الذين يسعون للإطاحة ببعض من يتصف بالنزاهة والكفاءة ، ويبحثون عن منافذ تمكنهم من الوصول لتحقيق أهدافهم فعلى الحاكم أنّ يترفع عن الاستماع

[٤٠] الشامي ، البرنامج الأمثل ، ص١٧٢–١٧٣ .

[٤١] الشيخ المفيد ، الجمل ، ص٢١٦ .

لهؤلاء السُعاة ويبعدهم عن دائرة عمله وإدارتهِ والعمل على ستر عيوب الرعية والتغافل عنها ، لأن هذهِ الأمور لا تليق بالطبقة الحاكمة ولا تنسجم مع عملها[٤٢] .

والمتأمل في ما تقدم يجد أنَّ أمير المؤمنين عليهِ السلام يربط بين الاتصال بالرعية ، وعدم الاحتجاب عنهم بضرورة تحمل مئونة الناس وسعة صدر الحاكم في التعامل معهم حتى لو كانوا على جهل ، وعليهِ أنّ لا يتتبع معايب الناس ، وأن يبذل ما بوسعهِ لبناء مجتمع متكامل ملتزم بالحقوق والواجبات لأن في ذلك وسيلة يتحقق من خلالها الأمن المجتمعي للرعية .

٣- مبدأ حب الرعية والرحمة بهم .

أنَّ حب الرعية والرحمة بهم أمرٌ له أثرٌ كبير في التفاف الرعية وعامة الناس حول الحاكم فإذا ما تم ذلك فمن البديهي أنّ يتحقق الوئام بين الرعية والحاكم ، الأمر الذي يؤدي إلى قيام مناهج الدين واعتدال معالم العدل ، ومن المعلوم أنَّ كثيراً ما تسقط النظرية عند التطبيق لكن الإمام كان نموذجاً إنسانياً أسمى للتناغم بين النظر والتطبيق رغم الصعوبات والمعوقات التي حكم فيها المسلمون بعد خمس وعشرين سنة من انصراف الناس إلى سواه تم إقبالهِ عليهِ مع اختلاف أمرهِ وأمرهم[٤٣] .

وضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام نظريتهُ وفق مبدأً إنسانياً وأخلاقياً كبيراً حدد فيها تعامل الحاكم مع الرعية على أسس مشتركة في المجتمع وهي : أما بإخوة الدين ، وإما بإخوة الإنسانية ويتجلى ذلك واضحاً من خلال قوله عليهِ السلام : ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فأنهم صنفان : أما أخٌ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق))[٤٤] .

يتضح من خلال هذه الوصية أن أمير المؤمنين عليهِ السلام ، قد أوصى الأشتر بضرورة معاملة الناس معاملة حسنة ، وأنّ يكون محباً لهم ، محترماً لمشاعرهم بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو مكونهم إثباتاً لإنسانية الإسلام ، واحترامهِ للإديان الأخرى ، ويلاحظ أنّ الإمام خاطب الأشتر بقولهِ أشعر

[٤٢] الشامي ، البرنامج المثل ، ص١٨٤ .

[٤٣] الحلباوي ، العدالة السياسية ، ص٣٤٩ .

[٤٤] نهج البلاغة ، ٨٤/٣ .

قلبك الرحمة ولم يقل له أرحمهم ، إذ أنّ هناك فرق بين أنْ ترحم وبين أنّ تشعر قلبك الرحمة فبشعور القلب الرحمة فهذا هو سر نجاحك ، فإذا تحقق هذا الشعور فأنهُ سيؤدي إلى الحب المتبادل بينك وبين الرعية ، فضلاً عن المكاسب الروحية والمعنوية الناتجة عن تطبيق الحاكم لمبادئ الرحمة والعفو وهذا يقود إلى إصلاح الرعية الأمر الذي سيؤدي إلى تحقيق الأمن والامان في المجتمع الإنساني ، وهنا يتضح أن الإمام له الريادة والسبق في وضع قانون إنساني مهم يحترم الإنسان لإنسانيتهِ ، ولم يُميز بين إنسان وآخر إلا بالتقوى[٤٥]، إيماناً بقوله تعالى : ﴿ إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٤٦] ، فالإمام يضع قاعدة مهمة لتعامل الحاكم مع الرعية ، وأنّ كان بعضهم من أديان أخرى فالأخوة الدينية مع أبناء دينهِ والأخوة الإنسانية مع أبناء الديانات الأخرى ، فالحاكم حسب فلسفة الإمام عليهِ السلام أبٌ للجميع وليس طاغياً جلاداً بل لابد أنّ يكون قلبه وفكرهِ ينبض بالإنسانية والرحمة والعفو وحب الرعية[٤٧] . ويتجسد ذلك بقولهِ عليهِ السلام: لا تكونَنَّ عليهم سبعاً ضارياً ، فالحاكم حينما يكون في أعلى السلطة فمن البديهي استطاعته تسخير أجهزة الدولة (جيش ، شرطة وحرس) ، لتحقيق مآربهِ وتخويف الرعية فأن تمكنت من ذلك فلا تكونَنَّ عليهم سبعاً ضارياً ، بل كُنّ رحيماً بهم ، محباً لهم ، وليس مستبداً بهم إذ لا يجوز للحاكم ممارسة الطغيان في حكمهِ والطريق إلى ذلك هو الاهتداء بالعدل والرحمة ، وتطبيقهما في التعامل مع الرعية[٤٨] فهُم إما أخوة لك في الدين أو نظراء لك في الخلق والإنسانية فلا مبرر لاستخدام العنف والتسلط على رقاب الناس ، إذ لا بد أن يتحقق الحب المتبادل بين الحاكم والرعية لأن ذلك سيقود لأمان المجتمع .

ومن جانب الاهتمام بالرعية ، ركز العهد الشريف على حماية المظلومين والاهتمام بهم ، والتعرف على أحوالهم من أجل استئصال العوامل التي تساعد التعدي على حقوق الناس وتعميم حالة مواجهة الظالمين والمعتدين ، حيث ركز الإمام على تقوية ونشر ثقافة حماية المظلومين ورعاية المستضعفين بالعدل وتحرير المستعبدين ، لأن الناس خُلقوا أحراراً ، كذلك ربط الإمام بين نصرة المظلوم ومحاربة الظلم والتعسف بصلاح الدولة ، وأنها من مقتضيات ممارسة السلطة والحكم وأكد ذلك بالقول : ((... ثم

[٤٥] مُحَمَّد جواد مغنية ، التفسير الكشاف ، ٧/ ١١٥ ؛ السراجي ، خصائص الحاكم العادل ، ص١٤٠ .

[٤٦] الحجرات ، آية ١٣ .

[٤٧] السراجي ، خصائص الحاكم العادل ، ص١٤٠ .

[٤٨] آلوس ، التصنيف الطبقي ، ص٥١٣ .

انظر في أمر الأحكام بين الناس بنية صالحة ، فأن الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من القوي ، وإقامة حدود الله على سنتها ومنهاجها مما يصلح عباد الله وبلادهِ))[٤٩] . لذا فأن أنصاف المظلوم وأخذ حقه من ظالمهِ يسهم في ترسيخ الحق في فكر وسلوك الأمة ، ويحد من اللجوء للعنف والمعارضة المسلحة لحل الإشكالات السياسية ، فقال الإمام عليهِ السلام : ((أستعمل العدل ، وأحذر العسف والحيف فأن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعوا إلى السيف))[٥٠] .

٤- مبدأ الاهتمام بالفقراء والمساكين .

لم تكن الطبقة الفقيرة من الرعية بعيدة عن فكر الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، في وصاياه وعهدهِ لمالك الأشتر ، حيث خص هذهِ الطبقة بالقول : ((ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، ... ، فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسولهِ ولإمامك وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء ، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ، ثم ألصق بذوي الأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فأنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف))[٥١] .

شدد أمير المؤمنين عليهِ السلام في خطابهِ على العناية بطبقة الفقراء والاهتمام بهم ، ولاسيما أنَّهم من أهل الحاجة والمسكنة الذين وجبت مساعدتهم ، وركز على أن يقوم الحاكم برعاية هذهِ الطبقة والاعتناء بها . والمتمعن في خطابه عليه السلام يجد أنّهُ وضع هذهِ الطبقة ضمن الطبقات الحية التي تساهم في بناء الحياة ورسم مستقبلها ، وذلك لأن مد يد العون لأبناء هذهِ الطبقة وتقديم المساعدة لهم من شأنهِ أنَّ يعمق حب العطاء ومشاريع الخير في نفوس الأغنياء فضلاً عن تزكيتهم من الاستغراق بالأنانية وحب الذات[٥٢] . إذ أنَّ المشاريع الخيرية تؤدي إلى تطهير الحياة الاجتماعية ، وتدفع جميع أفراد

[٤٩] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤١٤/١ .
[٥٠] الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، حكمة ٤٦٦ ، ص٧٠٢ .
[٥١] ابن أبي الحديد ، نهج البلاغة ، ٩١/٣ .
[٥٢] الشامي ، البرنامج الأمثل ، ص٢٢٨ .

المجتمع نحو المساهمة في مشاريع ومؤسسات النفع العام ، الأمر الذي سيؤدي إلى إنعاش الحياة تحقيقاً لبيئة أمنية جيدة المعالم .

٥- مبدأ تواضع المسئول .

قال أمير المؤمنين عليهِ السلام فيما يخص تواضع المسؤول ، وتواصله مع الرعية :((فلا يشغلنك عنهم بطرٌ ، فأنك لا تغدر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ولا تصغر خدك لهم))[٥٣] ، قد يبتعد الحاكم أو المسئول عن رعيتهِ ، وينقطع اللقاء بهم بحجة انشغالهِ بالأمور الجسيمة والمهمة ، وعدم التفرغ للأمور البسيطة أو الصغيرة وهذا عذر يتذرع بهِ الكثير من المسئولين عندما يحاسبون على عدم اهتمامهم بمعاناة الرعية ، وعدم الاكتراث بها ، بدعوى أنَّ المشاكل الكبيرة أولى بالاهتمام ، ويرى الإمام أنَّ لا عذر للحاكم أنَّ أغفل مشاكل الناس ولايساهم في حلها ، فأن للناس حقوقاً إذا روعيت شدت من عزائمهم ، وزادت ولاءهم للدولة ويختم وصيتهِ بأن لا يتكبر على الناس ولا يستخف بهم ، إذ من اخطر ما يصيب الحكام تعاليهم على الرعية ، واتهامهم بالجهل والغفلة ، ومن البديهي أنَّ لا يتسع وقت الحاكم للتفرغ لحل مشاكل الناس بشكل مباشر بنفسهِ فمهما بذل من مجهود سيبقى محدود القدرة بشخصهِ ، ويدرك الإمام هذهِ الصعوبة ويضع الحلول لها عن طريق اختيار بعض ممن يتصفون بالنزاهة والكفاءة وحب الخير والتواضع ، فيكلفهم الحاكم بأن يكونوا عنصراً فاعلاً لمساعدة الناس ، وحل مشاكلهم لأن في ذلك طريقاً للاستقرار الاجتماعي وتحقيقاً للأمن المجتمعي[٥٤] .

٦- مبدأ أللقاء المباشر مع ذوي الحاجات .

وضع الإمام عليهِ السلام قاعدة مهمة في إدارة الدولة وهي تواصل الحاكم مع الرعية بشكل مباشر وعد إهمالهم أو الاحتجاب عنهم ، لأن الاحتجاب عن الناس يؤدي إلى القطيعة وحدوث فجوة بين الحاكم والرعية ، بينما التواصل يؤدي إلى خلق حالة من الحب والوئام والألفة والتواصل ، الأمر الذي

[٥٣] ابن أبي الحديد ، نهج البلاغة ، ٩٦/٣ .

[٥٤] الناصر ، فن إدارة الدولة ، ص١٥٤-١٥٦ .

يؤدي إلى إطلاع الحاكم والمسئول على حاجات الناس والتعرف على أحوالهم ، مما يؤدي إلى التفاف الشعب حول الحاكم[٥٥] ،إذ لم يكن الاحتجاب يوماً أسلوباً مجدياً ونافعاً في قيادة الدولة وبناء المجتمع ، كما أنَّهُ لايعطي للحاكم صورة واضحة لمجريات الأمور فتختلط عليهِ الأشياء[٥٦]، وقد عدَ الإمام عليهِ السلام الاتصال المباشر مع الرعية شرطاً رئيساً لإصلاح النظام السياسي والاضطلاع بمسئولية الحاكم فيقول : ((ثلاثة من كُنَّ فيهِ من الأئمة، صلُحَ أنِّ يكون إماماً ، أضطلع بإمامتهِ إذا عدل في حكمهِ ولم يحتجب دون رعيتهِ ، وأقام كتاب الله تعالى في القريب والبعيد))[٥٧] ، وهنا يعد الإمام عليهِ السلام عدم الاحتجاب عن الرعية من مؤهلات الزعامة السياسية والدينية التي يمكن من خلالها أنَّ يتحقق الأمن المجتمعي للرعية .

كذلك ركز الإمام في عهدهِ الشريف على ضرورة الاهتمام بطبقة ذوي الاحتياجات الخاصة وذكر ذلك بالقول : ((أجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم في شخصك وذهنك من كل شغل ، ثم تأذن لهم عليك ، وتجلس لهم مجلساً تتواضع فيهِ لله الذي رفعك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، تخفض لهم في مجلسك ذلك جناحك ، وتلين لهم كنفك في مراجعتك ووجهك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (في غير موطن لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع)) [٥٨] . وهنا أراد الإمام عليهِ السلام أنّ يبرز جانباً من ضمانات حرية الرأي والتعبير ، فضلاً عن الآيات القرآنية التي تؤكد هذا الحق[٥٩] للإنسان بشكل عام والمسلم بوجه خاص ، إذ يحيط الإمام حق حرية التعبير بشرعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يقول : ((يا أيها المؤمنون ... من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليهِ فأنكره بقلبهِ فقد سلم وبرئ ،

[٥٥] السراجي ، خصائص الحاكم العادل ، ص١٤٥ .

[٥٦] الشامي ، البرنامج المثل ، ص٣٢٨ .

[٥٧] المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٧٦٤/٥ .

[٥٨] النويري ، نهاية الأرب ، ٢٧/٥-٢٨ ؛ الريشهري ، موسوعة الإمام ، ٧/ ٧٠ ؛ الشيخ ، ملامح من الفكر الإداري ، ص٧٤-٧٥ .

[٥٩] سورة البرقة ، الآية ١١١ ؛ سورة الأعراف ، الآية ١٥٩ ؛ سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ ؛ سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

ومن أنكر بلسانهِ فقد اجر وهو أفضل من صاحبهِ))[٦٠] . لذا فأنَّ حق التعبير عن الرأي هو جزء من منظومة الحقوق السياسية التي أكد عليها الإمام عليهِ السلام والتي بدورها ستعمل على تحقيق المشاركة بإبداء المشورة والمشاركة في الحياة السياسية والتي يجب ان يعمل الجميع من خلالها على تحقيق الأمن المجتمعي للرعية .

أما ذوي الاحتياجات الخاصة فقد نالوا أهمية كبرى في فكر الإمام وعهدهِ الشريف لمالك الأشتر فقد أكد عليهِ السلام على ضرورة أنَّ يقوم الحاكم بتخصيص جزء من وقتهِ للاستماع لذوي الاحتياجات وللرعية كافة ، وأنَّ يوليهم أهمية كبرى ويخصص لهم جزء من وقتهِ ، ليستمع لهم بكل أريحية ، وأنَّ يبعد حرسهِ وشرطتهِ وبطانتهِ الخاصة عنهم عند الاستماع لهم ، لكي يشعر المتكلم منهم بالأمن وهو يتحدث مع الحاكم أو المسئول ، ولعلَّ في ذلك وسيلة للتقرب للناس والدخول إلى عقولهم وقلوبهم ليكون الارتياح واضح المعالم في وجوه الرعية ليتحقق الشعور بالانتماء وصولاً لتحقيق الأمن المجتمعي .

ويتضح أن الإمام سعى جاهداً نحو إيجاد حرية سياسية يتحقق من خلالها تطور فكري ليكون الفرد قادراً على تبني المواقف واتخاذ القرارات . وبشأن ذلك يقول الإمام: ((أيها الناس إنا أحب أنّ اشهد عليكم أنَّ لا يقوم أحد فيقول : أردت أنّ أقول فخفت فقد أعذرت بيني وبينكم))[٦١] ، وهنا يبرز الإمام ويؤكد حق الأفراد في إبداء آرائهم والتعبير عن معتقداتهم وأفكارهم السياسية في ظل جو من الأمن واحترام الرأي الآخر ، حتى أنَّهُ كان يأمر عماله بإيجاد وتغذية روح النقد وحرية الرأي كركيزة رئيسية في تربية الأمة[٦٢] .

[٦٠] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٤٠٥/٦ .

[٦١] المغربي ، دعائم الإسلام ، ٣٥٤/٣ .

[٦٢] الميالي ، حقوق الإنسان ، ص١٠١ .

الخاتمة

١- امتاز الفكر الأمني للأمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، بمتانتهِ وتماسكهِ واستنادهِ لفكر ومنهج منطقي قائم على التناسق والتعاضد تحقيقاً لأمن الرعية .

٢- أكد الإمام علي عليهِ السلام على تأصيل العلاقة بين الحاكم والرعية بمختلف شرائعهم حيث أنَّ هذا التأصيل يؤسس لحكومة قوية يمكن من خلالها أنَّ يتحقق الأمن الاجتماعي للرعية .

٣- قدمَ الإمام علي عليهِ السلام نموذجاً للجانب الإيجابي القائم على حرص الحاكم وتأصيل العلاقة بين إدارتهِ عمالاً وقادة وجُند من جهة ، والشعب بمختلف شرائحهِ من جهة أخرى وتجسد ذلك من خلال وثيقة العهد لمالك الأشتر والتي تُعد دستوراً رفيعاً لهذا التأصيل .

٤- أكد الإمام علي عليهِ السلام على تحقيق العدالة السياسية ، واعتبرها ضرورة من ضروريات العلاقة المتكافئة بين الحاكم والرعية ، إذ متى ما تحققت العدالة السياسية فيتحقق معها الأمن المجتمعي وستنعم الرعية بالأمن الذي هو مسئولية الحاكم .

٥- حرص الإمام علي عليهِ السلام على المحافظة على كرامة الإنسان بغض النظر عن دينهِ وعرقهِ وتوجههِ السياسي ، واعتبر هذا الأمر مرتكز رئيسي لتحقيق الأمن الاجتماعي .

٦- لابد أنَّ تكون صحيفة عهد الإمام علي عليهِ السلام لمالك الأشتر ، منهج سياسي وخارطة طريق لكل من يعمل في مجال السياسة ويتصدى للمسئولية السياسية وخدمة البلد ، لأنَّ فيها من الصلاح والإصلاح ما تعجز اللسن عن ذكره والأقلام عن كتابتهِ ، حيث أنَّ هذا العهد وثيقة مهمة وبرنامج عمل متكامل للحاكم والمسئول في مواقع الدولة كافة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم

أبن أبي الحديد ، أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله، (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

١- شرح نهج البلاغة ، تحقيق مُحَمَّد عبدة ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ،(ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .

انساب الأشراف ، تحقيق مُحَمَّد حميد الله ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .

الحراني ، أبو مُحَمَّد الحسن بن علي بن الحسين بن سعيد ، (من أعلام القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .

٢- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم ، عُني بتصحيحهِ والتعليق عليهِ علي أكبر الغفاري ، ط٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، د.ت .

الحر العاملي مُحَمَّد بن الحسن ، (ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م) .

الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ط١ ، تحقيق مُحَمَّد القائيني ، مؤسسة المعرف الإسلامية ، أيران ، ١٤١٨هـ .

ابن سعد ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي ، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) .

الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن مُحَمَّد التميمي المروزي ، (٥٦٢هـ/١١٦٦م)

الأنساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

الشريف الرضي ، مُحَمَّد بن الحسين الموسوي البغدادي ، (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥) .

نهج البلاغة (الجامع) ، تعليق وفهرسة صبحي الصالح ، تحقيق فارس تبريزيان ، دار الهجرة ، أيران ، ١٣٨٠هـ .

الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ،(ت١٧٥هـ/٧٩١م) .

العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة هلال ، د.ط، د.ت .

القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي ، (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق مُحَمَّد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .

٣- البداية والنهاية ، ط١، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ، (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م) .

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ضبط وتصحيح بكري حياتي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ .

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي ، (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

٤- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمناع ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٩٩

المغربي ، النعمان مُحَمَّد بن منصور بن احمد التميمي ، (ت ٣٦٣هـ/٩٧٤م) .

دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليهِ وعليهم أفضل السلام ، تحقيق أمين بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ .

ابن منظور ، مُحَمَّد بن مكرم جمال الدين ، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) .

لسان العرب ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) .

٥- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق علي بو ملحم ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي ، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)

٦- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩ .

قائمة المراجع

آلوس ، مناف حيدر .

التصنيف الطبقي عند الإمام علي عليهِ السلام دراسة تحليلية ، مجلة آداب الكوفة ، العدد١٣ ، المجلد ٢ ، ٢٠١٧ .

الجزائري ، نور الدين مُحَمَّد الطاهر إسماعيل .

إعداد الكفاءات وحسن توظيفها في ضوء الفكر الإسلامي دراسة موضوعية ، دار الكتاب الثقافي ، عمان ، د.ت .

الجحني ، علي

المنظور الإسلامي للأمن الفكري والاجتماعي ، دار جامعة نايف ، د.ط ، د.ت .

الحائري ، الشيخ مُحَمَّد مهدي

شجرة طوبى ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشراف ، ١٩٦٥ .

الحلباوي ، نبيل .

العدالة السياسية (العلاقة المتبادلة بين الحكومة والشعب) ، بحث منشور في المؤتمر الدولي للإمام علي (ع) والعدالة والوحدة والأمن ، معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية ، طهران ، ١٤٢٢هـ .

الريشهري ، مُحَمَّد .

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام في الكتاب والسنة والتاريخ ، دار الحديث ، قم المقدسة ، ١٤٢١هـ .

الزركلي ، خير الدين .

الأعلام ، دار العلم للملاين ، بيروت ، ١٩٨٠ .

الزبيدي ، خالد صدام

أمن المجتمع والدولة دراسة في المنظومة الفكرية والحقوقية الإسلامية أنموذجاً ، المؤسسة العالمية للتجليد ، بيروت ، ٢٠١٣ .

السراجي ، كريم شاتي .

خصائص الحاكم العادل في كلمات أمير المؤمنين عليهِ السلام عهد مالك الأشتر أنموذجاً ، بحث منشور في مجلة العقيدة ، العدد ١٨ ، شوال ، ١٤٤٠هـ .

السيد علي ، أحمد صبري .

الحقوق السياسية عند الإمام علي عليهِ السلام من منطلق العدالة ، ، بحث منشور في المؤتمر الدولي للإمام علي (ع) والعدالة والوحدة والأمن ، معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية ، طهران ، ١٤٢٢هـ .

السياري ، رابعة .

الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة ، جامعة نايف ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١١ .

الشامي ، حسين بركة .

البرنامج المثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي لمالك الأشتر ، ط٢ ، دار الإسلام ، بغداد ، ٢٠٠٨ .

الشيخ ، حسن .

ملامح من الفكر الإداري عند الإمام علي ، دار مؤسسة إرسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، ٢٠١٠ .

الشيرازي ، صادق الحسيني .

السياسة من واقع الإسلام ، ط٥ ، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

الطيبي ، سعيد محمود عبد الخالق .

الأمن الاجتماعي والاقتصادي في العهد النبوي والراشدي (١-٤٠هـ/ ٦٢٢-٦٦٠م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية بغزة ، ٢٠١٩ .

العبودي ، عباس زبون .

الخلق الكامل بحث مفصل في الفلسفة الأخلاقية والأخلاق الفاضلة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسير السلف الصالح وفي مختلف أنواع الحكمة والعلوم قديماً وحديثاً ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

عبد الرزاق ، علاء

الأمن الاجتماعي ووسائل تحقيقهِ في ظل عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام لمالك الأشتر ﷺ ، سلسلة دراسات في يعهد الإمام علي عليهِ السلام لمالك الاشتر ﷺ ، وحدة الدراسات الاجتماعية ، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة ، ٢٠١٧ .

العمري ، حسين .

الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية ، دار الكتب العلمية ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، بيروت ، د.ت .

عمارة ، مُحَمَّد .

الإسلام والأمن الاجتماعي ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

الفيتوري ، عبد الحكيم الصادق .

صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة ، ط٣ ، دار المدني ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٥ .

القزويني ، محسن باقر .

خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، بحث منشور في مجلة أهل البيت ، العدد الأول ، د.ت .

المولى ، مُحَمَّد أحمد جاد .

الخلق الكامل بحث مفصل في الفلسفة الأخلاقية والأخلاق الفاضلة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيير السلف الصالح وفي مختلف أنواع الحكمة والعلوم قديماً وحديثاً ، دار الكتب العلمية ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، بيروت ، د.ت .

الميالي ، أحمد عدنان عزيز .

العدالة الاجتماعية عند الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد .

الناصر ، عبد المنعم .

فن إدارة الدولة في الإسلام دراسة في عهد الإمام علي لملك الأشتر حين عينه والياً على مصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

نور ، أمل .

مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٧ .